

المدينة: النشأة ، التطور ، السمات.

أ. مليحي نجاة

جامعة سكيكدة

ملخص:

تهدف هذه المقالة للتعرف على المدينة من خلال التطرق إلى نشأتها وتطورها وأهم سماتها، حيث أن المدينة ليست ظاهرة حديثة في تكوينها ، ولا في نشأتها فهي ترجع إلى عهود سابقة، وقد ارتبطت بالاستيطان البشري في المناطق التي رأى فيها الإنسان مكانا خصبا للعيش وممارسة حياته اليومية بنوع من الراحة التي تخوله لأن يطمح لحياة أفضل له ولأطفاله.

Résumé:

Cet article est destiné à identifier la ville en se tournant vers sa création et ses principales caractéristiques, ainsi que la ville n'est pas un phénomène récent dans la composition et pas seulement dans ses origines sont traçables aux précédentes époques ont été associés à des établissements humains dans les zones qui ont vu un endroit fertile pour l'homme la vie vivante et quotidienne avec le genre de confort qui lui permet d'aspirer à une vie meilleure pour lui-même et ses enfants.

مقدمة:

تعتبر المدينة بكل ما فيها من تناقضات ومغريات تدفعنا دائما للبحث في أغوارها لاكتشاف ما تبقى في جعبتها من مفاجآت دفينه ، إلا أن الضرورة الحتمية تفرض علينا أن نفكر مليا وبشكل جدي في مستقبل مدننا وان كانت اليوم غارقة في مآسيها.

ودراسة المدينة بجدية لم تبدأ إلا مع ظهور علم الاجتماع وتطوره وخاصة مع ظهور الدراسات الحضرية ، وفي هذا المقال سنتناول المدينة من خلال التطرق للنشأة والتطور والسمات.

أولا / المدينة ... دراسة لكرونولوجيا الظاهرة :

المدينة لغة هي مشتقة من لفظ دين بمعنى القانون والديان في اللغة الآرامية والعبرية هو القاضي أو الحاكم ، وفي بعض المعاجم العربية ان المدينة ترجع الى كلمة دين وهي مشتقة من كلمة ودنته بمعنى ملكته ، فهو مدين مملوك ، وهي ترجع في الاصل الى كلمة دين لكونها تملك¹ لم يخلو القرآن الكريم ولا السنة النبوية الشريفة من العديد من الآيات والأحاديث التي تشير إلى المدينة والقرية لفظا ومعنى على أنهما مكانا للالتقاء والاجتماع أو للنشاط الاقتصادي، ولقد وردت في القرآن الكريم آيات غير قليلة تتحدث عن القرية والمدينة "فورد ذكر القرية بثلاث وخمسين آية، خمسة وأربعون آية منها مكية وثمانية مدنية؛ أما المدينة فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم بسبعة عشرة آية منها ثلاثة عشرة مكية والباقي مدنية"².

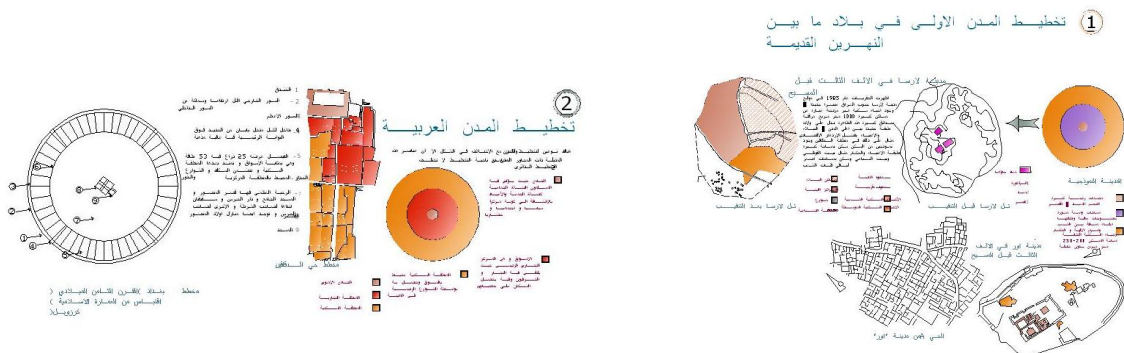
وقد نشأت المدن كظاهرة عمرانية في الشرق الأوسط لاسيما مصر والعراق، وارتبط ظهورها بتقدم كبير في المعرفة الإنسانية لتظهر البوادر الأولى لها في واد النيل ودجلة والفرات ، وسهول السند ، لتعرفت هذه المناطق استقرارا بشريا مستقلا وقائما على دورات منتظمة " من الفيضانات والأمطار ، واستخدام المحراث ، ما مكناها من إنتاج الغذاء بوفرة، وقد ساعد فائض الأغذية لأول مرة على توفير الغذاء لأعداد كبيرة من السكان ، وتجمع هؤلاء في تجمعات عمرانية يربط بينها نظاما خاصا لتوفير الخدمات المتعددة ، ومن هنا نشأت المراكز العسكرية والثقافية والادارية القديمة على هيئة مدن صغيرة مثل هارابا harappa، وموهنجودارو mohingo.daro في واد السند ، وأفروديتوبوليس aphroditopolis ، وطيبة و بونو buto في مصر ، ومدن سوسة واور ur، وكيش kich قرب بابل في العراق³، وما كان يميز المدن القديمة في الشرق الأوسط أنها كانت تحوي احجاما سكانية كبيرة فقد تراوح سكان المدن السومرية ما بين 7000 - 20000

نسمة، وكانت مدينة طيبة أكبر عواصم مصر تشغل مساحة كبيرة ، نواها الاصلية الاقصر والكرنك الحالية وبكثافة سكانية تقدر بنحو 70000 الف نسمة
ثانيا / شروط قيام المدن عند ابن خلدون :

لقد إهتم ابن خلدون بالحضارة والعمران ذاكرا العديد من التفاصيل المتعلقة بنشوء المدن وتصنيفها حسب وظائفها فهو اعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية متطورة ، "وكانت المدينة بالنسبة له عبارة عن الناس والمباني والهندسة والعمارة والثقافة والاقتصاد والادارة،لها لم تكن في نظره شيئا ثابتا يتكون من بعدين او حتى ثلاثة أبعاد من التركيبات العضوية،ولكنها كانت في نظره شيئا ذا أبعاد متعددة من تركيبات متشعبة ،تشمل عناصر الزمن والفلسفة مضافا الى فائدتها ونفعها " ⁴ ، ويعتبر ابن خلدون أول من ميز بين الموقع والموضع في جغرافية المدن فعند اختيار الموضع يجب مراعاة عدة شروط منها : " طيب الهواء للسلامة من الأمراض ، وتوفر المياه بأن يكون البلد على نهر بازائها عيون عذبة كما انه يضع بعض الشروط عند اختياره للموضع :قربها من البحر،سياج الاسوار لحمايتها ، طيب المراعي والمزارع ، والشجر للحطب والبناء،موفرة العدد من الافراد ، ومن المستحسن أن يكون موضع المدينة على هضبة متنوعة من الجبل ، واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها " ⁵ ، ومن الواضح ان ابن خلدون ركز على العناصر الطبيعية والبشرية ، والاقتصادية التي يجب ان تتوفر على المدينة خاصة عاملي المنفعة والدفاع بما يكفل حماية المدينة واستمراريتها

ثالثا / تخطيط المدن :

1- المخطط الشطرنجي (خطة المربعات) : وهي الخطة الأكثر شيوعا ليس فقط في الدول الغربية ، وبدأ تطبيق لدى الرومان حيث شيدت المعسكرات حول طريقين رئيسيين متعامدين ، ونمت حولها في شوارع متقاطعة المباني ، ويمثل ذلك مدينتا تورينو وفلورنسا التين تطورتا في ظل الرومان ، الذين أسسوا عددا ضخما من هذه المدن " ⁶ ، وقد تبنت هذه الخطة أوروبا الغربية منذ القرن الثاني عشر مثل مدن ريوم وسارلويس ، التان ظهرتا في شكل مستطيل ذو خطوط متقابلة - والشكلين 1 _ 2 يوضحان التخطيط في المدن القديمة :



المصدر: هبة مقرون ، المدينة (التعريف ، الخصائص ، المفهوم) دراسة للتجمعات الحضرية في سوريا اشراف يسار عابدين ، كلية الهندسة المعمارية ،

قسم التخطيط العمراني والبيئة ، جامعة دمشق ، 9-4-1007

2- الخطة الإشعاعية (الدائرية) : " وتتنظم هذه الخطة وفق مجال نما حول مركز شوارع تأخذ الشكل النجمي الذي يتقاطع مع الشوارع الدائرية ، وتميز هذه الخطة بالوصول من الأطراف الى قلب المدينة بسهولة وهناك أمثلة عديدة لمدن دائرية نشأت في عصور قديمة خاصة في الشرق خلال العصر الوسيط وذلك في محاولة لإعطاء شكل إنحنائي لأسفل جدران القلاع بما يتفق و شكل السور الدائري الذي بني لأغراض دفاعية مثلما ظهر في بعض المدن الكبرى ومنها ميلانو

مدينة ميلان ، ومدينة بوان⁷ ، وتصور المدينة في الشكل الدائري لم يكن وليد الصدفة ، فقد أثبتت العديد من الدراسات أن الكثير من المدن القديمة اتخذت من هذا الشكل طابعاً يميزها على اعتبار أن الدائرة تمثل أكمل الأشكال ، فقد اعتمد الخليفة المنصور في تخطيطه لمدينة بغداد على عدة معايير كأن "تتخذ شكلاً دائرياً نظراً للقرب وسهولة الوصول جغرافياً من مركز الدائرة إلى جميع الجهات وبصورة متساوية ، كما عبر المنصور على أهمية الشكل الدائري في تخطيط المدينة وقيام قصر الخلافة في قلب بغداد المدورة ، لدرجة أنه قال انه على الحاكم أن يقيم في الوسط من الجميع وعلى بعد متساو من الجميع ، وذلك لما للشكل الدائري من المزايا الحربية والفنية . وفي هذا السياق قال الخليفة أبو جعفر المنصور متصفحا موقع بغداد القديم " هذا موضع معسكر صالح " وعلى هذا الأساس أمر جنوده ببناء بغداد سنة 726⁽⁸⁾

ولكن ما يؤخذ على هذه الخطة أنها ان المسافة التي على الانسان قطعها الى قلب المدينة طويلة خاصة مع الشوارع التي فيها أقواس ، كما أنها تستهلك مساحات عمرانية كبيرة ويصعب تطويعها عمرانيا وهندسيا .

3 - الخطة الشطرنجية (الخطية) : وهو النموذج المتبع في تخطيط المدن الصغرى، ويعتبر المعماري دو كسياس رائدا في التخطيط لهذا النمط خاصة " في إسلام آباد في الباكستان ، وهكذا ظهرت في المراكز الإدارية والتجارية والسكانية ، على طول محور مركزي تمده مساحات خضراء وأفضل مثال على ذلك ما طبقه سورايا متي على مدريد عام 1894 والمعماري السويسري ليكوروبوزيه ، عندما صمم مدينة شاتو بيجاره عاصمة البنجاب بقدرة استيعابية 3 ملايين نسمة "

4 - الخطة المرنة أو المخطط اللين : " طبق هذا النموذج في مدينة نوريس وهي مدينة جديدة نشأت في وادي تنسى عام 1935 ، وقد تطورت المدن الجديدة في كل أنحاء العالم وفق الخطة المرنة ، خاصة ما يتعلق منها بالبناء واحدة وراء الأخرى ، أو في إمتداد المناطق الخضراء التي تتخلل المباني وترتبط مكونات المدينة بشبكة جيدة من الطرق والشوارع ، وقد نمت بعض الأحياء الهامشية من المدن الكبرى وفق الخطة المرنة حيث تظهر فيها الخطوط المنحنية بدلا من تقسيم الأراضي وفق مربعات متناضرة ، وقد حططت كمثال آخر مدينة برازيليا التي تطورت في شكل طائرة جناحيها أمتداد عمراني حول بحيرة صناعية يمكن تطويرها ، أما المحور المركزي فيها فتنشأ فيه المباني الحكومية المهمة مثل البرلمان وقصر الحكومة وغيرها وتنظم على جانبيه مباني الوزارات ثم الأحياء السكنية التي يفصل بين مبانيها قطع من الأراضي الخضراء المغطاة بالعشب ، كما تنظم حولها الشوارع الواسعة ، ويعطي كل هذا إنطبعا بالوظيفة العاصمية⁹

5- مخطط المدن الحدائق garden city : ظهرت على يد العالم البريطاني Ebenger howard عام 1998 وتتلخص فكرته في تخطيط مدينة تتمتع بكفائتها الذاتية، وهي ذات مسطح إجمالي قدره حوالي 2000 فدان يشغل المنطقة العمرانية لمساحة 1000 فدان ، ويسكن في المدينة 32 ألف نسمة ، ويوجد في وسطها ميدان مركزي تتوسطه الحدائق ، وتتجمع حوله المباني العامة من حكومة ومستشفى ومتاحف ومسارح وغيرها ، وتحيط الحدائق العامة بهذه المباني ويولي هذه المباني سوق المدينة ، أما المساكن فمفردة وممتدة في نطاقات دائرية ثم يأتي الطريق الدائري الأوسط الذي تقع عليه المدارس والمباني الدينية ، وتقع المصانع على الطريق الدائري الذي يحيط بالمدينة من الخارج، ويخترق المدينة ستة طرق رئيسية مارة بالمركز وتقطع المحيط الخارجي " ، وقد أصر هوارد على تنفيذ المدينة الحدائقية الثانية " فالفين غاردن سيتي " التي تنتمي لسلسلة من المدن الحدائق وكانت تتمتع بالاستقلالية الاقتصادية والإنتاجية .

6 - مخطط المدينة التابعة satellite touin : ظهرت على يد أدولف رادنج Adolf rading عام 1920 وتبعه ريموند أنوين rymond unuin في نفس السنة ثم روبرت هوتين Robert whitten عام 1923 وتمتاز المدينة التابعة بأنها تحد من

مشاكل زيادة السكان في المدينة الكبيرة وتوزيع هذه الزيادة على المدن التوابع المتنقلة التي لها كفايتها الذاتية وتعتمد في خدماتها الكبرى على المدينة المركز¹⁰.

رابعاً / أنواع المدن :

1- المدن اليونانية : ظهرت خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد وكان أشهرها واكبرها مدينة أثينا التي قدر عدد سكانها في القرن الخامس ب 10000 - 150000 نسمة ، ومدينة اسبرطة ومدن اغريقية اخرى مثل . cornith ,miletus,selinus ، وقد نشأت بعض المدن بدون خطة مسبقة حيث نمت حول الاكروبوليس *Acropolis (هو مبنى ديني ودفاعي معا يشمل تقريبا كل ساحة المدينة) العديد من الانشطة الى جانب ساحة مفتوحة عرفت باسم اجورا *Agora (هي عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل ومسورة لها وظائف متعددة فهي مكان للسوق ، ومسرح ، كما انها ذات موقع بؤري للمناطق السكنية من حولها) التي تبرز اهميتها في كونها منطقة تبادل ومرور للسلع والافراد ، اما بالنسبة للمدن التي نمت بخطة مسبقة نجد مدينة Miletus سنة 450 قبل الميلاد والتي نشأت وفق الشوارع المستقيمة والبالوكات السكنية والتي تحددت بها ثلاث قطاعات سكنية : الاولى لاصحاب الفنون ، ولثانية للمزارعين ، والثالثة للعسكريين¹¹ وهكذا بدأت العديد من امدن اليونانية رحلتها نحو استيعاب المظهر الحضري ، فراحت تتوسع عمرانيا بغزو مناطق أخرى وضمها اليها لتمتد نفوذها الى البحر المتوسط ، وفي سنة 500 قبل الميلاد كانت الحياة الحضرية ظاهرة سائدة في ساحل المحيط الاطلسي من اسبانيا غربا لغاية سهول الجانج في الهند شرقا ، فانتشرت الادوات والاسلحة الحديدية وتصميم السفن الشراعية ، واستخدام الكتابة بالحروف الابجدية ، واستخدام العملات النقدية في التجارة وتبادل الانتاج مع بعض المدن الاخرى ، كما هو الحال بالنسبة للمدن اليونانية التي اعتمدت على تجارة القمح الوارد اليها من سواحل مقدونيا والبحر الاسود ، وكان انعكاس ذلك على النمو الحضري واضحا ومجسدا في تضخم المدن بالسكان ، وزيادة في احجام المدن القائمة، وقيام أخرى جديدة خاصة خلال سنة 300 قبل الميلاد لاسيما في عصر الاسكندر المقدوني الذي انشأ العديد من الطرق ووحد العملة السائدة وقتذاك ، فنشطت التجارة نشاطا كبيرا انعكس على التطور الحضري كما حدث لاسكندرية في مصر

2- المدن الرومانية : لقد كانت المدن الرومانية شبيهة الى حد كبير بالمدن اليونانية من حيث التخطيط العمراني ، الا ان الرومان حولو " مدهم الى مركز اجتماعي وحضاري ، بتركيز الوسائل الدينية والادارية في أماكن خاصة لتكون بذلك روما أعظم المدن واعرقها تاريخا حيث بلغ عدد الحمامات القائمة بها نحو 900 حماما ، و 1200 نافورة ، و 250 مخزنا في المدينة وحولها " ¹² وقد كانت المدن الدفاعية والادارية هي السمة الغالبة لمعظم المدن الرومانية ، فقد وصل عدد السكان بالنسبة لمدينة لندن الرمانية مثلا الى 30000 نسمة بالاضافة الى ظهور العديد من المحلات للتجار والصناع ، والتي انشأت بجانب القصور والقلاع الرومانية مثل مدينة يورك في بريطانيا ، وكولون في المانيا ، وبلغراد في يوغسلافيا

3- المدن الاسلامية : " بعد ظهور بيزنطة بعدة قرون ظهر الاسلام وكون المسلمون امبراطورية واسعة من الدولة البيزنطية ، وازدهر العمران الحضري في ظل الدولة الاسلامية، وظهرت مدن لعبت دورا هاما في نشر الثقافة وتقدم التجارة ويرجع هذا الازدهار الى عوامل مختلفة دينية ، وسياسية ، وحرية ، واجتماعية ، وتجارية ، ومن المدن الدينية التي أنشأها المسلمون فاس بمراكش ، والرباط ، النجف وكربلاء ، وصارت لمكة والمدينة مكتنة خاصة في قلوب كل المسلمين ، كذلك أنشأت مدن عسكرية مثل البصرة والكوفة والفسطاط ، والقيروان ، وظهرت العسكر ثم القطائع ثم القاهرة

كعاصمة لمصر¹³ ولا احد يستطيع انكار دور قرطبة (في العهد الاموي 756 - 1002) في ازدهار وتطور الحضارة العربية والحياة المدنية لدرجة ان وصل عدد سكانها الى نصف مليون نسمة .

4- مدن العصور الوسطى في غرب أوروبا : وهي تلك المدن التي ظهرت بتأثير من الحضارات اليونانية وهي ثلاثة انواع :

4 - 1 - المدن الدينية " التي كانت مركزا اداريا لاجهزة الحكم الدين المسيحي

4- 2 - المدن الدفاعية المسماة بالبرج : والتي كانت محاطة بأسوار عليها ابراج للملاحظة ولها ابواب يحرسها الجنود ، وكان على هذه المدن أن تدفع على سكانها ، وعن سكان القرى المجاورة ، هذا ولازالت بقايا هذه الاسوار موجودة في مدن اوربية كثيرة مثل باريس ولندن وروما وفينيسا

4- 3 - المدن التجارية : وباتصال العرب بأوروبا عن طريق التجارة وبدء عصر النهضة فيها ظهر نوع ثالث وهو المدن التجارية ، وكان لرواج التجارة بشكل واسع في ذلك الوقت ، وخاصة بعد اختراع البارود والمدافع في أوروبا والتجديد في وسائل الملاحة ، وبدء عهد الاستعمار الاوربي للعالم ، أثر كبير في ازدياد هذه المدن حجما وعددا ، وأدى رواج التجارة الى رواج الصناعة اليدوية ، كصناعة الانسجة الصوفية والصناعات المعدنية وغيرها¹⁴ .

5- المدن في العصر الحديث : ان التغيرات التقنية والاقتصادية التي نجمت عن الثورة الصناعية أدت الى انقلاب كبير في احجام المدن ، وعدد سكانها وفي معدلات النمو الحضري ، ويرجع ذلك لعدة اسباب اهمها :

5-1- الثورة الزراعية وتوفير الغذاء : لقد حدثت هذه الثورة في غرب اوربا ، وتمثلت في ادخال انواع جديدة من المحاصيل الزراعية بإستخدام السماد ، وتحسين انواع الماشية بتربية السلالات الجديدة ، فازدادت الغلة التي تنتجها الارض وتنوعت واتسعت مساحات الاراضي الزراعية وقد أدى هذا التطور الى " فائض زراعي وفير بدأ بدوره يكون أساسا هاما للتجارة والتبادل واستطاعت السفن ان تنقل الغلال الزراعية والمنتجات الحيوانية الى غرب أوروبا والى وجهات أخرى من العالم ، وقد أدت هذه الزيادة الضخمة في انتاج الغذاء وامكان نقل الفائض منه الى مناطق بعيدة الى الزيادة في عدد السكان الاوربيين خلال القرن التاسع عشر ، مما أدى بدوره الى تزايد أحجام المدن القائمة تزايدا كبيرا ، حيث ادى الى استخدام الآلة في الزراعة الى جعل اعدادا كبيرة من العمال الزراعيين يتوجهون نحو المدن بحثا عن فرص العمل¹⁵

5 - 2 الثورة الصناعية : بالاضافة الى ما أحدثته الثورة الزراعية من تطور في مختلف مجالات الحياة لاسيما بالنسبة للاقتصاد الحضري نجد أن للثورة الصناعية واستخدام الآلة دورا بارزا في تركيز النمو الحضري ، وتضخم المدن ، فأصبحت هذه الاخيرة (المدينة) مركز جذب قوي لسكان الريف لما لها من مميزات تتناسب وطموح الانسان اللامتناهي لحياة افضل لدرجة انها لم تقتصر على الصناعة فحسب بل أصبحت عبارة عن مراكز حضرية واجتماعية توفر العديد من الخدمات لقاطنيها فتعدت معنى الاستقرار الى تأمين مختلف متطلبات الحياة التي يحتاجها الانسان كالنقل ، والحاسبة والتأمين والتجارة والصحة ، والتعليم ... الخ ، فشهدت دول العالم الثالث نموا حضريا هائلا " فقد تضاعف عدد سكان الحضر في اوربا وويلز في الفترة (1871 - 1911) تزايدا من 14 مليون الى 28 مليون نسمة ، فمدينة باريس مثلا بلغ عدد سكانها 515000 نسمة في عهد نابليون الاول ، ولكن بعد ذلك بخمسين عاما فقط تعدى المليون نسمة سنة 1860 ثم وصلا الى 6.7 مليون نسمة سنة 1950 ثم الى 9.5 مليون نسمة سنة 1998¹⁶ ليشهد بذلك العالم تطورا وازدهارا في جميع المجالات ، وتوسعا ضخما في العمران الحضري ، نتيجة ازدياد نسبة المهاجرين من جهة والنمو الهائل للسكان من جهة أخرى ، واصبح عدد سكان المدن يتزايد بمعدلات كبيرة تفوق التوقعات فقد قدر عدد سكان الحضر في بداية القرن التاسع عشر ب 22 مليون نسمة اي بنسبة وصلت الى 3/3 من سكان العالم آنذاك ، وارتفع ذلك

الرقم الى 700 مليون نسمة في منتصف القرن العشرين بنسبة وصلت الى 28% من سكان العالم، ومعنى آخر فإن اكبر من ربع سكان العالم تقريبا كانوا يعيشون في مراكز عمرانية حضرية ، وقد تضاعف عدد سكان المدن تقريبا خلال القرن العشرين سنة (1950 - 1970) من 700 مليون نسمة سنة 1950 الى 1350 مليون نسمة سنة 1970 ، وترتب على ذلك نحو خمسي سكان العالم أصبحوا يعيشون في مدن¹⁷

خامسا / تصنيفات المدن : تعتبر المدن ظاهرة عمرانية تاريخية قديمة جدا ، يرجع تاريخها العصور ماضية ، وبما أنه لكل مدينة شخصيتها المستقلة ومميزاتها المختلفة عن الاخرى ، فقد ظهرت عدة تصنيفات يمكن أن نوجزها فيها يلي :

1- تصنيف ابن خلدون للمدن : صنفها على اساسها الوظيفي وما تقدمه من نشاطات اقتصادية وميز بين صنفين هما :
1-1 المدن المستبحرة في العمارة : وهي تلك التي تتمتع بقدر كبير من مظاهر التحضر والترف وتوجد بها كل الصنائع ومن ابرز مظاهرها وفرة الحمامات لانها توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة في العمران
1-2 المدن المتوسطة : هي تلك التي تقل فيها مظاهر الترف وتقتصر على البسيط والضروري فلا توجد الحمامات وتقل فيها الصنائع ويرى البعض أن هذا التصنيف يشبه كثيرا الاساس الذي بنى عليه (كريستالر نظرية المكان المركزي والنظام الطبقي المتداخل الذي تترتب بموجبه المدن المركزية¹⁸

2 _ تصنيف لويس ممفورد : وقسمها من حيث تطورها التاريخي الى المراحل التالية :

أ- مرحلة النشأة epolis : وهي مرحلة ظهور القرية التي تعتمد غالبا على الزراعة والتعدين والصيد ، وقد اكتشفت في هذه المرحلة الزراعة والاستئناس بالحيوان وقيام العديد من الصناعات التقليدية والحرفية ، الى جانب اكتشاف المعادن
ب - مرحلة المدينة بوليس polis : وهي ظهور مدينة سوق صغيرة بما بعض الصناعات تمتاز بالتنظيم الاجتماعي والاداري ، انتعشت فيها التجارة وتنوعت فيها الاعمال والوظائف كما ظهرت فيها الفلسفات ومبادئ العلوم النظرية ، وبدأ الاهتمام بالفلك والرياضيات

ج - مرحلة المدينة الكبيرة metropolis : وهي مدينة كبيرة تهيمن على عدد من المدن الاصغر منها و القرى ، وتنمو في موقع مناسب يسكنها اناس ذوي اصول ومهن مختلفة ، تربطها بالريف شبكة من المواصلات السريعة ، تتميز بالتجارة والصناعة واتساع نطاق الاعمال التجارية ، وتتركز فيها جميع انواع النشاط الاجتماعي ، والسياسي لتصبح بذلك المدينة الام

د - مرحلة المدينة العظمى (العملاقة) megalopolis : وهي المدينة التي تسيطر عليها الشروط المادية ، وتتميز بانثاق المدن العظمى في القرن العشرين ، فبدأ التخصص المهني وتقسيم العمل والتوسع العمراني ، وبدأ يتعاظم دور البيروقراطية في الادارة واجهزة الحكم ، وأبرز امتثلها روما في القرن الثاني ميلادي ، وباريس في القرن الثامن عشر ، و نيويورك في القرن العشرين " 19

ذ- مرحلة المدينة الطاغية (المستبدة) tyrannopolis : وهي المدينة التي تصبح السمة الغالبة فيها هي المباحات والانفاق واللامبالاة ، تنذبذ في التجارة ، " وتنهار الخدمات البلدية وتدهور المؤسسات الثقافية ، وتصبح المدن في هذه المرحلة مقصورة قشورا بالية وأطلالا مثل بابل ونيروي " 20

3- تصنيف المدن من حيث عدد السكان : وهو التقسيم الذي اعتمدته معظم الدول نظرا لسهولة فهمه ففي فرنسا مثلا كل مجموعة من السكان تعيش في مركز واحد يبلغ عدد سكانها او يزيد عن ألفين نسمة تعتبر مجموعة حضرية ، وكل مركز يقل عدد سكانه عن الرقم يعتبر قرية يدخل في عداد الريف ، وفي ايرلنده كل مجموعة يبلغ عدد سكانها 1500

نسمة تعتبر مركزا حضريا ، وفي الولايات المتحدة يصل الرقم الى 2500 نسمة ، ويرتفع الرقم الى خمسة آلاف في بلجيكا وهولندا واليونان والهند²¹

4 - تصنيف المدن من حيث الحجم: ويستخدم هذا المعيار في التفرقة بين الرف والحضر، فقد أوضح مان MANN الاختلافات التقليدية بين الريف والحضر في بريطانيا عام 1951 ، وقسم دنكان DUNCAN و ريس REISS المدن الأمريكية الى أحد عشرة نموذجاً حسب حجمها، وقسم فليب هاويز PH.HAUSER المدن الى ما قبل الصناعية وصناعية " 5 - تصنيف المدن من حيث العوامل الاجتماعية والثقافية : " قام بعض العلماء بتصنيف المدن في ضوء العوامل الاجتماعية والثقافية ، فقد ميز رد فيلد REDFIELD وسنجر SINGER بين المدن التي تسودها العقيدة الارتودوكسية ORTHOGENETIC، والمدن التي تخالف تلك العقيدة ، ففي الاولى تتسند وتقوى وتستقر النظم الاجتماعية والثقافية السائدة ، بينما تستجيب الثانية للتغير الاجتماعي ، وميز فير WEBER بين مدن النبلاء ومدن الدهماء طبقاً للطبقة الاجتماعية التي تستحوذ على السلطة السياسية ، وميز هاويزر HAUSER ، و شنور SCHNOUR بين مدن البدائيين ومدن الاقطاع ، فمدن الاقطاع يتكلم اهلها لغة مكتوبة ، ويتوفر فيها صفوف متعلمة ، وهي اكثر قدرة على مجابهة صدمة التحضر الصناعي على البناءات الاجتماعية ، كما تنقسم المدن في جنوب افريقيا الى مدن نشأت في ظل الاستعمار الاوربي ، ومدن كانت قائمة قبل دخول الاستعمار الفرنسي إفريقيا ، اما مدن العصور الوسطى فهي تنقسم الى مدن اقتصادية ، واخرى سياسية، وثالثة يزداد فيها العقلانيون²²

6- تصنيف الدول حسب درجة تقدمها : "حاول تورنديك تقسيم المدن من حيث الكمية ونوع الخدمات التي تؤديها لسكانها ، فقسم الخدمات الى 27 نقطة تقع في ستة اقسام عامة ، الصحة والتعليم والترويج والاقتصاد وتسهيلات عامة ثم تتريات ، واكتشف من هذه الدراسة أن هناك ارتباط عام بين التقدم والتأخر في المدن ، فالمدن التي بها نسبة تعليم مرتفعة مثلاً يكون سكانها احسن حالا من الناحية الاقتصادية والصحية والترويجية

7- تصنيف المدن من حيث الوظائف الى تؤديها : لقد وضع جينست هالبرت تقسيماً سداسياً للمدن حسب الوظائف التي تؤديها الى ستة تقسيمات وهي : المدينة الصناعية ، المدينة التجارية ، المدينة السياسية ، المدينة الثقافية ، المدينة الصحية والترويجية ، المدينة المتعددة الوظائف²³ سادسا / سمات المدن :

" إن المدينة هي مكان يعمل سكانه في أغلب المهن ما عدا الزراعة وهي بيئة صناعية يتزايد تحكم الإنسان فيها وبحياته ووقته وإنتاجه. وتمثل سمات المدن فيمايلي :

1- المهنة: تخصصت في :الوظائف الاجتماعية:(دفاع، دين، ثقافة، إدارة، ترفيه).
الوظائف الاقتصادية:(تجارة، صناعة، إنتاج، خدمات).

وينتج عن ذلك أن المدينة تنقسم إلى مواقع ومناطق مميزة، فهناك أقسام للسكن، وأقسام للتجارة، وأخرى للصناعة، ورابعة للترفيه، وينقسم السكن إلى مناطق للطبقات الفقيرة، المتوسطة والغنية.

2- المظاهر الثقافية: تمتاز المدينة بأنها كبيرة ومتنوعة وبها ميادين فسيحة وم، وبالتاليها ومعارض ومتاحف ومقاهي، وفي العمارة ترى العمارة الحديثة إلى جوار المبنى القديم ، وحي الأغنياء ملاصقا لحي الفقراء، كل هذه الأضداد مجتمعة في المدينة وهي بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات ، وهي تسمح وتشجع تأكيد الفروق الفردية باستمرار، وللناس فيها طبائع متباينة بعضها ريفي والآخر مستورد من الخارج.

3- الإنسان الحضري: مع نمو حجم المدينة يقل معرفة الفرد بالآخرين معرفة شخصية، وبالتالي تصبح العلاقات الاجتماعية سطحية ومؤقتة، ولا يتصف إنسان المدينة بالتنقل، ولا يقف موقفا جامدا إزاء التقاليد.

4- التشريعات القانونية: تبرز هذه التشريعات للضبط الاجتماعي في المدينة لتحل محل طاعة التقاليد، وذلك بصفتها وسيلة أساسية لتنظيم علاقات سكان المدن وحياتهم الاقتصادية.

5- إمتداد حدود المدينة للخارج: لا تقف المدينة عند حدودها المحلية، بل تمتد خارج حدودها وتؤثر وتسيطر على المناطق التي تقع خارج هذه الحدود .

سابعاً / خصائص المدن عند تطبيق شروط الظاهرة الاجتماعية عليها:

* تمتاز بأنها ذات طبيعة إنسانية بثلاث طبائع (حيوية، نفسية واجتماعية).

المدينة تلقائية النشأة حيث تكون في البداية مجموعة متناثرة من المنازل التي بنيت لجرد الإيواء، ثم تتجمع لتصبح القرية ، وتتسع القرية نتيجة للتزايد السكاني وتنوع حرفهم ويزداد الدخل القومي في القرية لتتحول لمدينة صغيرة ، وعندما تتوفر فيها المصانع ووسائل المواصلات والخدمات تنمو لتصبح مدينة رئيسية ، وهذا يعني أن المدينة كظاهرة إجتماعية ليست من صنع أفراد، ولكنها من صنع لمجتمع، وبوحي من العقل الجماعي .

* المدينة ظاهرة عامة منتشرة في كل المجتمعات، وتفرض نفسها على سائر أنحاء المجتمع.

* تمتاز المدينة بموضوعيتها وشيئيتها، أي أن معرفتنا بها تستمد من الواقع فلكل مدينة تراث اجتماعي.

* تمتاز المدينة بالترابط، بمعنى أنها تتصل بأجزائها عن طريق المواصلات المختلفة، على إعتبار أن النظام السياسي في المدينة مثلاً يرتبط بالأنظمة التعليمية والاقتصادية والدينية وحتى النظام الأسري.

* تزود المدينة بصفة الجبر والإلزام، فالأفراد ملزمون بالحياة فيها عندما تكون لديهم الرغبة بالاستمتاع بمظاهر الحياة الحضرية الراقية والتعليم والترفيه.

* تمتاز المدينة بصفة الجاذبية²⁴.

خاتمة:

مما سبق نتوصل الى ان المدينة ليست مجرد أكوام من البنايات القديمة والحديثة بشكل معين، وأخلط من البشر يعدد معين يستعملون منتجات الحضارة ويمارسون روتين الحياة من أكل وشرب ونوم وانجاب لنطلق على هذا المكان اسم المدينة وعلى هؤلاء القوم اسم المدينين ، لأن الامر يتطلب العودة الى اسس المدينة كما يراها أفلاطون في أطلنطيس والفارابي في المدينة الفاضلة. وإذا كانت المدن عندنا تولد بالقيصرية وتمشي مباشرة بعد الولادة فإن ذلك يعني ودون شك أن هناك خللا في فهمنا واسقاطنا في تسمية المدينة التي تعني حسبما يقتضيه المعنى: ذلك العمران المنتظم وفق اسس حضارية تميز هذه المدينة عن تلك، مساكن ومتاجرا وأسواق ومدارسا وحمامات ²⁵

الهوامش والمراجع

- ¹ — محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1990 ، ص 16.
- ² — ممتاز حازم داود الديوجي ، باسم احسان عبد القادر الخافض ، أثر الاسلام في تطوير تطوير بعض المفاهيم الاساسية في تخطيط المدن ، مجلة المخطط والتنمية ، المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، العدد 19 ، 2008 ، ص 73.
- ³ — فتحي ابو عيانة ، جغرافية العمران — دراسة تحليلية للقرية والمدينة، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، دس ، 87.
- ⁴ — علي فاعور آفاق التحضر العربي ، دراسات وأبحاث ، دار النهضة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان ، ص 512.
- ⁵ — ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الاول ، الطبعة 3 ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1967 ، ص ص 617 ، 618 ، 619.
- ⁶ — صبري فارس الهيتي ، التخطيط الحضري، دار اليازوري العلمية ، الأردن، 2009 ، ص 76.
- ⁷ — المرجع السابق ، ص 78.
- ⁸ — علي فاعور، المرجع السابق ، ص ص 492 ، 493 .
- ⁹ — صبري فارس الهيتي ، مرجع سابق ، ص ص 80 ، 81.
- ¹⁰ — حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، التخطيط الحضري ، دراسة في علم الاجتماع ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2005 ، ص ص 133.
- ¹¹ — فتحي ابو عيانة ، مرجع السابق ص 81.
- ¹² — المرجع السابق ، ص 84.
- ¹³ — المرجع السابق ، ص 86.
- ¹⁴ — عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة ، الاجتماع الحضري ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، 1981 ، ص ص ، 42 - 43.
- ¹⁵ — فتحي ابو عيانة ، مرجع سابق ، ص ص 90 - 91.
- ¹⁶ — المرجع السابق ، ص 92.
- ¹⁷ — المرجع السابق ، ص 94 .
- ¹⁸ — عبد الرازق، حسين ، جغرافية ، المدن، مطبعة أسعد ، بغداد 1977 ، المقدمة ص ب
- ¹⁹ — فتحي ابو عيانة ، مرجع سابق ، ص 142.
- ²⁰ — المرجع السابق ، ص 142.
- ²¹ — مصطفى الخشاب ، مقدمة في دراسة علم الاجتماع الحضري ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1959 ، ص 62.
- ²² — حسين عبد الحميد احمد رشوان ، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، الطبعة السابعة 2012 ، ص 65 - 66.
- ²³ — عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة ، الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة ، مصر، الطبعة الثالثة ، 1962 ، ص ص 30 - 32 .
- ²⁴ — هبة مقرون ، المرجع السابق ، ص 3.
- ²⁵ — عبد القادر عبيد : المدينة والمدينة — هفوات الفهم والإسقاط — ، مجلة النخلة مجموعة القروط ، العدد السادس ، أدرار، الجزائر، 2010 ، ص 18.